الإجازات العلمية في دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس والسابع الميلاديين

محمد فؤاد حماده*

الملخص

مفهوم الإجارة لغوياً كان أو اصطلاحياً ليس بجديد في دوائر التربية والتعليم، والتعليم العالي، ولكن من المهم التأكيد على أن الإجازة عُرفت في تاريخنا العربي الإسلامي، وكانت أركانها تشمل المُجيز، والمُستَجيز، والإجازة نفسها. أما أنواعها فهي تشمل الإجازة بكتاب معين، والإجازة بأكثر من كتاب، والإجازة بموضوع، والإجازة بالاستدعاء، والإجازة بالإفتاء والتدرّيس، والإجازة العامة. وهناك أسلوب تُكتب به الإجازة. ولأهمية هذا الموضوع سيتم تناول " الإجازات العلمية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس والسابع عشر الميلاديين".

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ حديث ومعاصر.

Abstract:

If it is linguistically or theoretically, the concept of license was not new in the educational departments as well as in the higher education department, but it is important to emphasize that the license was already known in our history. The student, the scholar and the license itself were including in the pillars of the license. However, its kinds were including a license in a specific book, topic, correspondence license, license in teaching and Iftaa, and general license. For its importance, the scientific licenses would be introduced in the tenth and eleventh Hijri centuries/ sixteenth and seventeenth centuries.

مخطط البحث:

أولاً: مقدمة

ثانياً: الإجازة لغوياً واصطلاحياً

1–الإجازة لغوياً

2–الإجازة اصطلاحياً

3–أركان الإجازة

ثالثاً: أنواع الإجازات

1– الإجازة بكتاب

2– الإجازة بأكثر من كتاب

3– الإجازة بموضوع

4– الإجازة بالاستدعاء

5– الإجازة بالإفتاء والتدريس

6– الإجازة العامة

7– إجازة حافظ للقرآن الكريم

رابعاً: أسلوب الإجازة

الخاتمة

المقدمة:

كانت مدينة دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس والسابع عشر الميلاديين جزءاً من السلطنة العثمانية، وتمتعت السلطنة في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي بالاستقرار والقوة على كافة الأصعدة. لكن مع نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة تتعرض لعوامل الضعف، والانحطاط، وبدأت المحن تعصف في أجوائها، والهزائم تفتت عضدها، فضلاً عن التمردات المحلية، والحركات الانفصالية، وتجمدت حدودها، ثم أخذت بالتقلص رويداً رويداً. فعانت السلطنة في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي من ضعف السلاطين، وفساد الإنكشارية، والأزمات الاقتصادية، والهزائم العسكرية. وهذا ما انعكس على مدينة دمشق التي كانت مركز لولاية دمشق الشام، فاتسمت هذه المرحلة بالثورات، وتمردات الإنكشارية المتواصلة، وصراعهم مع القابي قول.

وعندما دخل العثمانيون مدينة دمشق 922 هـ/1516م لم يقوموا بإخضاع المؤسسات التعليمية العربية لنظامهم، بل أبقت لها تقاليدها. وشكلت مدينة دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين أحد أهم المراكز العلمية في الوطن العربي، التي كان طلاب العلم يرحلون إليها لتلقي العلم فيها على يد أهم علمائها آنذاك، من أجل الحصول على إجازات علمية من العلماء الذين تتلمذوا عليهم بهدف تثبت قدرتهم العلمية على التدرّيس. وقد شكل موضوع الإجازات العلمية أحد مظاهر الحياة العلمية المهمة في دمشق، علماً أن النظام التعليمي في تلك المدينة العريقة بما فيه الإجازات لم يختلف عن باقي مدن بلاد الشام، ومصر، والحجاز. ونقصد بهذا البحث الإجازات التي مُنحت في العلوم الشرعية فقط، فهذه الإجازات لا تشمل العلوم التطبيقية التي كانت مُغيبة تماماً في فترة البحث؛ بسبب التحول الذي طرأ على الحياة العملية بمُجملها بعد السيطرة العثمانية، حيث أُهملت العلوم التطبيقية، واقتصر الاهتمام على العلوم الشرعية فقط. فالدولة العثمانية لم تسعَ إلى تطوير الحركة العلمية، فأهملت

المؤسسات التعليمية، ولم تُخضع المُدرّسين للمراقبة العلمية، وعملت على استقطاب كبار العلماء من الولايات العربية إلى العاصمة، مما ترك أثراً سلبياً على هذه الولايات.

تأتي أهمية البحث من الأهمية التي أعطيت للإجازات العلمية التي كان يمنحها علماء، ورجال الدين في دمشق لكل من يقصدهم، ويتتلمذ على أيديهم من كل أنحاء العالم الإسلامي، وليس من دمشق فقط. خاصة وأن هذه الإجازات شكلت جزءاً مهماً من النظام التعليمي وهي تتصل بالحديث عن الكتب التي كانت مجالاً للدراسة وأساليب التدريس، وطرقه، ومناهجه، وما يتصل بذلك من معالم الحياة العلمية.

أما هدف البحث فهو التعرف على أنواع الإجازات العلمية وطرق منحها وأسلوب كتابتها، ودور هذه الإجازات في الحركة العلمية لمدينة دمشق، والسؤال الذي يطرحه البحث هل طرأ أي تغيير على أنواع وأسلوب الإجازات العلمية في فترة البحث عما كانت عليه في العهد المملوكي؟

ومن أسباب اختيار البحث عدم وجود دراسات سابقة تناولت موضوع الإجازات في مدينة دمشق في القرنين المذكورين؛ إذ أن أغلب الدراسات اقتصرت على الفترات السابقة للحقبة العثمانية، وعلى التعليم ما بعد الاصلاحات، ومن هنا لابد من دراسة هذا الموضوع في تللك الفترة الزمنية من القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين.

أولاً: الإجازة لغوياً واصطلاحياً:

كانت الإجازة العلمية جزءاً من نظام التعليم ومظاهره في مدينة دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين، وكان محور هذه الإجازات التعليم الديني الذي سيطر على الحركة العلمية بشكل عام عبر تاريخنا مُنذ عهد السلاجقة، فقد كان التركيز بصفة مُطلقة على العلوم النقلية (الدينية) دون العلوم العقلية (الدنيوية) التي لم تشهد من الاهتمام إلا قليلاً.

1- **الإجازة لغوياً:** مصدر الفعل "أجاز"[1] وأصلها "إجوازة" تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً وحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فصارت "إجازة"[2] وهي من جاز الموضوع والطريق جوازاً ومجازاً، وأجاز له سوَّغ له والإجازة إعطاء الإذن[3] فيقال أجزت لفلان رواية مسموعاتي بمعنى أبحت له روايتها وأذنت له في ذلك[4]، وبهذا المعنى تسمح الإجازة بأن تفيد الإذن والتسويغ والإباحة، كما تأتي أيضاً بمعنى العبور والانتقال، وقال أحمد بن فارس اللغوي: " طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه على علمه فيجيزه إياه"[5]. وقد انتقل معناه اللغوي الذي يفيد الإذن والإباحة إلى لغة المُحدِّثين فصارت في اصطلاحهم تعني إذن الشيخ للطالب في الرواية عنه.

2- **الإجازة اصطلاحياً:** اصطلاحياً فقد عُرفت بأنها " الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته، ويطلق شائعاً على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد"[6].

ومن خلال هذا التعريف، يتضح أن علماء الحديث الشريف هم أول من عمل بهذا المصطلح، بحيث ظهرت كطريقة من طرق نقل الحديث الثمان[7]، التي يُؤخذ بها الحديث عن طريق الشيوخ، ثم توسع هذا الإذن. من إذن في رواية الحديث إلى إذن في قراءة ورواية علوم أخرى كالفقه، والقراءات، والتفسير، واللغة العربية، والتصوف،

---

(1) ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم): لسان العرب، 15 جزء، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج 5، ص 326.

(2) الزبيدي (مرتضى): شرح القاموس تاج العروس من جوهر القاموس، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ط 1، 1306هـ/1889م، مادة جوز.

(3) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن): فتح المغيث (شرح ألفية الحديث)، 3 أجزاء، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج 2، ص 62.

(4) فارس (أحمد بن): معجم مقاييس اللغة العربية، 6 أجزاء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، ط 1، بيروت، 1991، ج 1، ص 494.

(5) المصدر نفسه، ج 1، ص 494.

(6) منصور (نصار محمد): الإجازة في فن الخط العربي، مجدلاوي للطباعة، ط 1، عمان، 2002، ص 49.

(7) هي السماع من لفظ الشيخ، القراءة على الشيخ، الإجازة، المناولة، المكاتبة، الإعلان، الوصية، الوجادة. السيوطي (جلال الدين): تدريب الراوي في شرح تقريب النوادي، جزءان تحقيق أبو قتيبة نصر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، بيروت، 1415هـ/1994، ج 1، ص 418.

والرياضيات، وغيرها، وبهذا أصبحت الإجازة أصلاً من أصول التعليم وصار المفهوم الدقيق للإجازة أنها الشهادة التي يمنحها الشيخ، أو المدرس لتلميذه لتخوله حق التدريس، ورواية ما درس عليه وتكون الإجازة الممنوحة شفهية أو مكتوبة على الكتاب الذي أتم دراسته الطالب على مدرسه، وتكتب نظماً أو نثراً[1]. وهكذا يكون ظهور الإجازة مرتبطاً بعلم رواية الحديث، ثم توسع مفهومها ليشمل مختلف العلوم والفنون.

3– **أركان الإجازة:** وأركان الإجازة هي المُجيز، والمُستجيز، والإجازة نفسها[2]، وحتى تعتبر الإجازة إذناً ورخصةً مقبولةً عند العلماء يُشترط فيها أمران أساسيان، فالأول يتعلق بالمجيز والذي يجب " أن يكون عالماً بما يجيز به، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم"[3] فيحق له الإجازة. أما الشرط الثاني يتعلق بالمستجيز وهو أن يكون التلميذ " من أهل العلم متسماً بسمتهم وأخلاقهم حتى لا يوضع إلّا عند أهله"[4] فتكون بذلك إجازته درجة علمية تحدد مكانته ومقدار علمه.

إذاً كان الهدف من الإجازة ضبط الرواية، وضمان نشر الحقائق العلمية سليمةً غير مشوهةٍ أو مزيفةٍ، وكانت المادة العلمية غرضها الأساسي فقد أصبح لها في العصر العثماني، وما قبله من العصور الإسلامية غرض جديد هو الترخيص للمهنة العلمية، أو الوظيفية، كالإفتاء، والتدريس، والقضاء، والتطبيب، وغيرها. وباختصار فإن الإجازات في ذلك العصر تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الشهادات العلمية في يومنا هذا[5]. رغم أن مصطلح "إجازة" في أيامنا يُقصد به الشهادة الجامعية التي ينالها الطالب بعد دراسة تصل إلى أربع سنوات، أو أكثر، غير أن هذا المصطلح ليس بجديد ولا مُستحدث مع النظام

(1) منصور: الإجازة في فن الخط العربي، ص 50.
(2) التهانوني (محمد علي): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جزءان، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، بيروت، 1996، ج 1، ص 99.
(3) شبلي (أحمد): تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 3، القاهرة، 1996، ص 250.
(4) المرجع نفسه، ص 250–251.
(5) غنيمة (محمد عبد الرحيم): مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953، ص 143.

التعليمي بصيغته الحالية، بل سبق واستخدم في مراحل مبكرة من تاريخنا العربي الإسلامي.

ثالثاً: أنواع الإجازات:

1- الإجازة بكتاب:

هي " إجازة معين لمعيَّن "[1] كإجازة بكتاب صحيح البخاري، أي أن الطالب يدرس كتاباً ما ويتقدم إلى مُدرِّسه أو لأي مدرّس، ويطلب منه أن يمتحنه في هذا الكتاب، كأن يكون كتاباً في الفقه، أو الحديث، أو التفسير، أو اللغة العربية، أو غير ذلك ويقوم المدرس بامتحان الطالب بهذا الكتاب وإذا تأكد من إتقانه بشكل جيد يمنحه إجازة مكتوبة فيه[2]. وقد حصل طالبوا العلم في هذا المجال على الكثير من الإجازات ومن الأمثلة على ذلك ما أجيز به لإبراهيم بن عمر (930هـ/1524م)[3] حيث درس كتاب ((صحيح البخاري))[4] على أحد أشهر مُدرِّسي ومُحدثي دمشق هو محمد بن بدر الدين الغزي (904-984هـ/1499-1576م)[5] ومنحه "...إجازة مطولة..."[6]. كما حصل محمد بن بن إبراهيم الدكدكجي (1080-1131هـ/1669-1719م)[7] على إجازة بـ ((صحيح

---

[1] التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 99.

[2] القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبوعة الأميرية، مصر، 1963، ج 14، ص 327.

[3] إبراهيم بن عمر اليمني نزيل دمشق؛ مقرئ، إمام، درس في دمشق وتوفي فيها. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 أجزاء، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997، ج 1، ص 107.

[4] هو الجامع الصغير واشتهر بـ"صحيح البخاري" للإمام الحافظ أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/870م) وهو أول كتب الحديث وأهمها. حاجي خليفة: كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج 1، 541.

[5] هو محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري الشافعي الدمشقي: محدث، مفتي، مدرس، درس في دمشق والحجاز، والحجاز، مصر والروم، ودرس في مدارس دمشق مثل العادلية، الفارسية، الشامية، وغيرها، تولى إفتاء المذهب الشافعي في دمشق، وترك مؤلفات في الفقه والرياضيات. نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج 3، ص 5.

[6] ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 أجزاء، دار المسيرة، ط 2، بيروت، 1979، ج 8، ص 169.

[7] هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بالدكدكجي الحنفي الدمشقي: علّامة، صوفي، درس في دمشق دمشق ولازم المتصوف الكبير عبد الغني النابلسي وبرع بالعديد من العلوم ترك العديد من المؤلفات. المرادي (محمد خليل بن علي): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، 4 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج 4 ،ص 25-27.

البخاري)) وكان المجيز أحمد الداراني (ت1093هـ/1682م)[1] وكان ذلك في درس الحديث تحت قبة النسر[2] في الجامع الأموي[3]. ولم يكتفِ الدكدكجي بإجازة واحدة بـ((صحيح البخاري)) بل حصل عليها من مدرس آخر هو أبو السعود تاج الدين البعلي (ت1094هـ/1683م)[4] فقد ذكر الدكدكجي: "... فقد حضرت دروسه في البخاري تحت قبة النسر وأجازني..." [5].

ومن الذين حصلوا على إجازة بكتاب ((صحيح البخاري)) عبد القادر التغلبي (1052–1135هـ/1642–1723م)[6] وكان المجيز محمد بن علي بن سعد المكتبي (ت1096هـ/1685م)[7] فقد ذكر التغلبي أنه "...قرأ عليه حصةً وافرةً من صحيح البخاري وكتب له إجازةً حافلةً..." [8]، وأجاز إبراهيم بن حمزة (1054–1119هـ/1644–1707م)[9] لمحمد الغزي (1096–1167هـ/1685–1754م)[10] وكانت الإجازة أيضاً بـ((صحيح البخاري))[11] وكتاب ((صحيح البخاري)) كان من

---

[1] هو أحمد بن محمد المعروف بالداراني الدمشقي الشافعي: مدرس، محدث، فقيه، واعظ درس في دمشق، والمدينة ودرَّس في دمشق. الدكدكجي (محمد بن إبراهيم بن محمد ت1131هـ/1718م): مشيخة الدكدكجي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد[160ق] رقم 9273، ق 22–آ.

[2] هي قبة حرم الجامع الأموي، وكان أحد رجال السلطنة العثمانية وهو بهرام آغا قد قدم دعم مادي لدرس الحديث تحت القبة من خلال تخصيص راتب للمدرس، والمعيد والطالب. المحبي (محمد أمين بن فضل الله): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ،4 أجزاء، (د.ت)، القاهرة، 1865، ج 3، ص 408–409.

[3] الدكدكجي: مشيخته، ق 22 ب.

[4] محدث، فقيه ،درس في دمشق والقاهرة والحجاز، وبرع في الحديث ودرَّسه في الجامع الأموي. الدكدكجي: مشيخته، ق 22 ب.

[5] الدكدكجي: مشيخته، ق 22 ب.

[6] هو عبد القادر بن عمر بن عبد القادر التغلبي الحنبلي: مفتي، فقيه صوفي، درس في دمشق، ودرَّس في الجامع الأموي، ترك مؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج 3، ص 58–59.

[7] محدث، خطيب، فقيه، مدرس، درس في الحجاز والقدس ودمشق، ودرَّس في دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة خلاصة الأثر، ج 4، ص 73–74.

[8] التغلبي (عبد القادر بن عمر ت1135هـ/1723م): ثبت عبد القادر التغلبي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، [22 ق]، رقم 4415، ق3ب.

[9] هو إبراهيم بن محمد بن كمال الدين بن حمزة: محدث، مدرس، درس في دمشق، واستانبول، والقاهرة، ودرس في مدارس دمشق وترك مؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج 1، ص 22–24.

[10] هو أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا بن محمد الغزي: محدث، مفتي، مدرس، نساب، مؤرخ، درس في دمشق والحجاز، ودرس في مدارس دمشق، وتولى إفتاء المذهب الشافعي، ترك مؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج 4، ص 55.

[11] الغزي (أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن ت 1167هـ/1754م): ثبت الغزي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، 54 ق [23–76]، رقم 3876، ق36ب–37آ.

أكثر كتب الحديث تدريساً ومعظم الطلاب حصلوا على إجازات بهذا الكتاب. ومن الإجازات بكتاب معيَّن الإجازة التي حصل عليها محمد التدمري[1] عندما زار دمشق سنة سنة 1100هـ/1689م)[2] قادماً من طرابلس فحضر دروس درويش الحلواني (ت1107هـ/1696م) و"... قرأ عليه الكنز[3]..." وأجازه[4]. وبالعودة إلى كتب التراجم نجد أن الإجازة بكتاب واحد فقط قد انتشرت كثيراً في دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس والسابع عشر الميلاديين، وكانت في مواضيع عديدة.

2- الإجازة بأكثر من كتاب:

هي أيضاً من نوع " إجازة مُعين لمعين"، والفرق بينها وبين الإجازة بكتاب هو أن الإجازة بكتاب يدون فيها اسم كتاب واحد أجيز به الطالب من قبل مدرسه، أما الإجازة بأكثر من كتاب يدون فيها مجموعة الكتب التي أجيز بها الطالب، وتختلف أعداد الكتب المذكورة فيها من طالب لآخر، وقد تكون هذه الإجازة بكتب الفقه، أو الحديث، أو اللغة العربية أو غير ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به ابن طولون (880-953هـ/1775-1546م)[5] عندما عرض تقي الدين بن قاضي عجلون (874-935هـ/1469-1538م)[6] كتبه التي تعلمها وهي ((منار الأنوار))[7] ((الخلاصة))[8]

---

(1) هو محمد بن إبراهيم التدمري الطرابلسي: مدرس، فقيه، محدث، درس في طرابلس، ودمشق، والحجاز، وقد زار دمشق مرتين، وكان يقيم بجامع العداس وتتلمذ على علماء دمشق. التدمري: (محمد بن إبراهيم): ثبت الشيخ محمد التدمري، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، [12 ق]، رقم 1876، ق31-12.

(2) هو درويش بن ناصر الدين المعروف بالحلواني الدمشقي الحنفي: مدرس، فقيه، محدث، صوفي، درس في دمشق دمشق والرملة، ودرَّس في الأموي. المرادي: سلك الدرر، ج 2، ص 112-113.

(3) هو كتاب (كنز الدقاق) وهو في فقه المذهب الحنفي. ويعد أهم كتب هذا المذهب حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ج 2، ص 151.

(4) التدمري: ثبته، ق 5 آ.

(5) هو شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، محدث فقيه، مؤرخ، مسند درس في دمشق، وبرع بالتاريخ والفقه، ودرس في المدرسة العمرية ترك العديد من المؤلفات. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 298-299.

(6) قاضي، فقيه، مدرس، درس في دمشق، وبرع بالفقه، وأصبح أفقه فقهاء المذهب الشافعي في دمشق، ترك مؤلفات فقهية، ودرَّس بالعديد من مدارس دمشق. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 157-158.

(7) هو كتاب في أصول الفقه للشيخ حافظ الدين بن النسفي المتوفي 710هـ/1310م. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1823.

((الخلاصة))[1] ((المقدمة الأجرومية))[2] ((الحدود))[3] ((المقدمة الجزرية))[4] ومنحه تقي الدين إجازة بهذه الكتب[5].

وحصل أحمد بن محمد الحصكفي (927–1003هـ/1530–1595م)[6] على إجازة بكتب عدة هي ((صحيح البخاري)) و((صحيح مسلم))[7] و((سنن أبي داوود))[8] من من محمد بدر الدين الغزي (904–984هـ/1499–1576م) كما ذكر ابن الحنبلي[9]، وحصل أحمد بن اسكندر الرومي (توفي بعد 1000هـ/بعد 1592م)[10] على إجازة بكتب عدة عندما قدم إلى دمشق وقرأ على الحسن البوريني "...مقامات الحريري[11] وحصةً من أوائل الشرح المختصر للمحقق التفتازاني[12] على متن التلخيص للإمام جمال الدين القزويني..." ومنحه إجازة بهذه الكتب[13].

---

(1) لابن مالك (ت672هـ/1274م) وهي مقدمة مشهورة معروفة جمع فيها مقاصد اللغة العربية، وسماها "الخلاصة" واشتهرت بالألفية وشرحت شروح كثيرة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 151–155.

(2) لابن أجروم (ت727هـ/1323م) وهو عبارة عن شرح لألفية ابن مالك في النحو، وهو من أهم الشروح التي ألفت على الألفية، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 154.

(3) لشهاب الدين أحمد الأبدي، وهو في النحو. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 391–396.

(4) لمحمد بن محمد الجزري (833هـ/1430م) وهو في التجويد. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1799.

(5) ابن طولون (شمس الدين محمد) :الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، يوسف، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 1996، ص 29.

(6) محدث، مدرس، فقيه، درس في حلب ودمشق، ودرَّس في حلب. البوريني (الحسن بن محمد): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، جزءان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، 1959 و 1966، ج 1 ،ص 180.

(7) للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج والقشيري والنيسابوري ت261هـ/874م وهو ثاني كتب الحديث الستة. الستة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 555.

(8) للإمام سلمان بن الأشعث السجستاني ت 275–888م وهو أحد كتب الحديث الستة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1004.

(9) ابن الحنبلي (رضي الدين): در الحبب في تاريخ أعيان حلب، جزءان، تحقيق محمود حمد الفاخوري ويحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م، ج 1، ص 244.

(10) مدرس، كاتب، دخل دمشق سنة 988هـ/1580م ودرَّس الفلك والمنطق فيها. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 177–178.

(11) لأبي قاسم بن علي الحريري (ت516هـ/1122م) وهو بالنحو واسم الكتاب هو ملحة الأعراب ولأهميته شُرح كثيراً. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1817

(12) وهو احد الشروح التي وضعت على كتاب تلخيص المفتاح في المعاني والبيان لمؤلفه جمال الدين القزويني ت739هـ/1338م واسم هذا الشرح المختصر للعلامة سعد الدين التفتازاني. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص 473.

(13) البوريني: تراجم الأعيان، ج 1، ص 78–79.

ومن الذين حصلوا على إجازة بكتب عدة السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة (1024-1085هـ/1615-1674م)[1] فقد أجازه محمد البقاعي القرعاني (ت1045هـ/1635م)[2] بعدة كتب هي ((الأربعين النووية))[3] و((صحيح البخاري)) و((صحيح مسلم))[4].

وذكر محمد بن إبراهيم الدكدكجي أنه عندما تتلمذ عند السيد إبراهيم بن حمزة (1054-1120هـ/1644-1708م)[5] كان حضر دروسه في "... صحيح البخاري وصحيح مسلم وفي الهداية الفقهية[6] وغير ذلك من فنون وأجازني..."[7]. كما حصل الدكدكجي على إجازة بكتب عدة من مدرس آخر هو عثمان القطان (ت1115هـ/1703م)[8] فذكر أنه: "... قرأ عليه الألفية وشرحها ومقدمات الصرف وأجازني..." [9]، وكلاهما في النحو.

واستغل عبد القادر التغلبي وظيفته كمعيد[10] لدرس تقي عبد الباقي الحنبلي (1005-1071هـ/1597-1661م)[11] لمدة طويلة فحصل منه على إجازة بكتب عدة،

---

[1] فقيه، مدرس، محدث، مقرئ، درس في دمشق والحجاز والروم، ودرَّس في مدارس دمشق وترك مؤلفات عديدة. أبي المواهب (محمد بن عبد الباقي الحنبلي): مشيخته، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1990م، ص 47-48.

[2] محدث، مدرس، فقيه، درس في دمشق ومصر والحجاز، ودرَّس في دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 1 ،ص 315.

[3] للإمام محي الدين يحيى ين شرف النووي (ت676هـ/1277م) وهو أحد كتب الحديث. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 59.

[4] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 4، ص 125.

[5] مدرس، محدث، فقيه، درس في دمشق ومصر والروم، ودرَّس في مدارس دمشق. وترك بعض المؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج 1، ص 22.

[6] كتاب الهداية في الفقه لبرهان الدين بن علي بن أبي المرغيناني (ت593هـ/1197م) من أهم كتب الفقه الحنفي. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 2030-2040.

[7] الدكدكجي: مشيخته، ق 29-آ.

[8] هو عثمان بن محمود بن حسن الشهير بالقطان: مدرس، لغوي، درس في دمشق، ودرَّس فيها. المرادي: سلك الدرر، ج 3، ص 167-170.

[9] الدكدكجي: مشيخته، ق 30-آ.

[10] المُعيد: يأتي في المرتبة الثانية بعد المُدرّس في الهيئة التدرّيسية، ووظيفته إعادة درس مُدرّسه للطلاب الذين فاتهم الدرس، أو للطلاب الذين لم يفهموا الدرس. وقد ظهر نظام الإعادة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في المدارس النظامية في بغداد. شبلي : تاريخ التربية الاسلامية، ص255.

[11] محدث، مدرس، متصوف، مقرئ، درس في دمشق والحجاز ومصر، ودرَّس في دمشق وترك بعض المؤلفات. أبي المواهب: مشيخته، ص 32-38.

وهـذه الكتـب هـي ((مغنـى اللبيـب))[1]، ((شـرح القطـر))[2]، ((شـرح الشـذور))[3]، ((الإقناع))[4]، كما ذكر التغلبي[5].

من الجدير بالقول أن هذه الإجازات ذات قيمة كبيرة، لأن الكتب التي أُجيز بها ذات قيمة علمية عالية، ودلالتها على شخصية المُستجيز ومن نافلة القول أن الكتب التي أجيز بها طالبوا العلم فيما تقدم ذات أهمية كبيرة في مجالها. ويضاف إلى هذا أن العلماء الذين منحوا إجازات فيما تقدم كانوا من كبار العلماء في دمشق، وهذا يزيد من قيمة تلك الإجازات دون شك، وأما المُستجيزون، فهم من الجادين في طلب العلم، والمتفوقين فيه، وقد أضحوا بعد ذلك من كبار العلماء في دمشق. لاشك أن هذه الألوان من الإجازات تعكس صورة للحركة العلمية في دمشق وتعكس اهتماماً بالعلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، كما تعطينا صورة واضحة عن أهم الكتب التي كان يتم تداولها وقراءتها، ودراستها.

وبمقارنة ما سبق ذكره مع ما أورده القلقشندي في كتابه ((صبح الأعشى)) حول الإجازة بكتاب، وبأكثر من كتاب؛ نلاحظ أنه لم يطرأ أي تغير على هذا النوع من الإجازات في فترة البحث عما كانت عليه في العهد المملوكي.

3- الإجازة بموضوع:

هي نوعٌ ثالثٌ من أنواع الإجازات، وتسمى " إجازات مُعين في غير معين "[6] ومن الواضح أن هذا النوع لا يعينُ الكتاب المجاز به، أو الكتب المجازة بها، إنما هذه الإجازة محددة بموضوعٍ محددٍ، دون تحديد كتبه، مثل الإجازة بالحديث، أو الفقه، أو القراءات أو

---

(1) هو مغني اللبيب عن كتب الأعاريب في النحو لهشام الأنصاري ت761هـ/1360م. حاجي خليفة: كشف الظنون، الظنون، ج 2، ص 1751–1752.

(2) هو كتاب شرح قطر الندى في النحو لهشام الأنصاري. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1352.

(3) هو كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب في النحو لهشام الأنصاري. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1029.

(4) هو كتاب الإقناع في النحو لأبي سعيد حسن بن عبد الله السيرافي النحوي ت368هـ/979م. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1، ص 140.

(5) التغلبي: ثبته، ص ق 3–آ.

(6) التهانوي: كشاف مصطلحات الفنون، ص 99.

التصوف أو غير ذلك. ومن الإجازات العامة بالحديث الإجازة التي حصل عليها إبراهيم بن أحمد القصيري (ت933هـ/1527م)[1] الذي "...دخل دمشق...، وسمع الحديث عن جماعة...، وأجازوه فيه..."[2].

كان العلماء الوافدون إلى دمشق أثناء رحلة الحج يسعون للحصول على الإجازات بمختلف أنواعها وخصوصاً أن دمشق كانت مركز انطلاق قافلة الحج الشامي، وكان يجتمع فيها في موسم الحج عدداً كبيراً من العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن هؤلاء الذين حصلوا على إجازة عامة في الحديث أثناء توجهه إلى الحج علي بن عبد اللطيف بن قطب القزويني (ت949هـ/1542م)[3] الذي التقى بالشيخ تقي الدين القاري (ت945هـ/1538م)[4] و"... أخذ عنه الحديث وأجاز له ..."[5].

وعندما كان يأتي عالمٌ كبيرٌ إلى مدينة دمشق، كان العلماء والطلاب يهرعون إليه للاستفادة من علمه والحصول منه على الإجازات، ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن محمد مغوش التونسي الذي دخل إلى دمشق سنة 944هـ/1537م[6] عائداً من العاصمة العاصمة استانبول وفيها أخذ عنه العديد من العلماء، ومنهم الشيخ شهاب الدين الطيبي (ت979هـ/1572م)[7] الذي درس عليه القراءات و"... أجازه إجازة حافلة ..."[8] كما ذكر الغزي.

---

[1] فقيه، مدرس، درس في حلب ودمشق، ودرَّس في حلب. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 192.
[2] نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج 1، ص 173.
[3] قاضي، مفتي، مدرس، درس في حلب ودمشق، ودرَّس في حلب. ابن الحنبلي: در الحبب، ج 1، ص 1000-1001.
[4] علّامة، فقيه، مدرس، نحوي، مقرئ، درس في دمشق، ودرَّس في العديد من مدارس دمشق. الغزي: الكواكب السائرة، ج 2، ص 90-91.
[5] ابن الحنبلي: در الحبب، ج 1، ص 1001.
[6] قاضي، مقرئ، محدث، توفي في القاهرة، ابن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 270.
[7] مقرئ، إمام، ترك بعض المؤلفات، درس في دمشق، ودرَّس فيها. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 393.
[8] نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج 2، ص 16.

وحصل عمر القاري (958–1046هـ/1551–1636م) [1] على إجازة بموضوع الحديث فقد ذكر محمد أمين المحبي: "... تلقى الإجازة في الحديث من البدر الغزي ..." [2]، أيضاً حصل عبد الغني العنبوسي (988–1067هـ/1580–1657م)[3] على إجازات عدة بمواضيع عدة، وقد ذكر فضل الله المحبي: "... وأجازه الشيخ محمد بن عبد الله بن مفلح[4] في الحديث، والشيخ يحيى بن محمد البهنسي[5] في الفقه، والشيخ علاء الدين الطرابلسي[6] في القراءات ..." [7].

ومن الذين حصلوا على إجازة بموضوع الحديث السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة (1024–1085هـ/1615–1674م)، وذلك عندما "... أتى الحافظ المقرئ الأثري أحمد[8] إلى دمشق سنة ألف وسبع وثلاثين ولازمه في الحديث، وأجازه بسائر مروياته..."[9].

وذكر إبراهيم بن محمد الدكدكجي (1080–1131هـ/1669–1719م) أنه حصل على إجازة بالحديث والتصوف من ابن عبد الهادي الدمشقي (1016–1098هـ/1607–

---

[1] إمام، مفتي، محدث، مدرس، درس في دمشق، ودرَّس في مدارسها. البوريني: تراجم الأعيان، ج 2، ص 330–332.

[2] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 3، ص 223.

[3] خطيب، صوفي، كان يخطب في مساجد دمشق، المحبي (فضل الله بن محب الدين المحبي ت1082هـ/1671م): فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، مخطوط يوجد صورة منه في مكتبة الأسد، 250 ق، رقم 16850 ، ق 199

[4] لم نعثر على ترجمة له.

[5] فقيه، خطيب، تولى خطابة الجامع الأموي. كان حياً سنة 1033هـ/1623م، ولم نهتدي لتاريخ وفاته. نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ج 3، ص 12 ضمن ترجمة والده. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 4، ص 366 ضمن ترجمة ابنه أحمد.

[6] هو علي بن محمد الملقب علاء الدين الطرابلسي (ت1032هـ/1632م): علامة، مدرس، متصوف، فقيه، درس في دمشق، وبرع بالقراءات، وأصبح شيخ القراء في دمشق. درَّس في مدارس دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 3، ص 186–187.

[7] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 199.

[8] هو أحمد بن المقرئ التلمساني (986–1041هـ/1584–1631م): محدث، فقيه، أديب، مؤرخ، رحالة، درس في الجزائر ومصر والحجاز، زار دمشق وأقام بالمدرسة الجقمقية، ودرَّس تحت قبة النسر، وتتلمذ عليه العديد من طلاب دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 302–311.

[9] أبي المواهب، مشيخته، ص 48.

1687م)[1] فقال: "... وقد حضر هذا العبد دروسه في الجامع الأموي في الحديث والتصوف والعقائد وأجازني..." [2].

وفي هذا المجال منح الآباء لأبنائهم الإجازات بمواضيع عدة، ومن ذلك الإجازة التي منحها المتصوف الكبير أيوب الخلوتي (944-1071هـ/1586-1661م)[3] لابنه محمد محمد الخلوتي أبو الصفا(ت1120هـ/1709م)[4] وكانت في "... علوم الحديث والتفسير والتفسير وطريق الخلوتية[5]..."[6].

كما حصل عبد القادر التغلبي (1052-1135هـ/1642-1723م) على إجازة بموضوع من مدرسه منصور الفرضي (ت 1070هـ/1660م)[7] حسب ما ذكر التغلبي: "... قرأت عليه في الفرائض والحساب..." [8] ومنحه إجازة بذلك.

مما تقدم نلاحظ أن الإجازة بموضوع كانت منتشرة في دمشق، ومُنحت بالعلوم الشرعية فقط، وكان المُدرِّس يمتحن الطالب بالكتب الأساسية في موضوع محدد، وإن أدرك من إتقان وتمكن الطالب من هذه الكتب يمنحه الإجازة بالموضوع الممتحن به. وإن جميع من حصل على هذه الإجازة ساهم في الحركة العلمية في دمشق تدريساً وتأليفاً.

---

[1] متصوف، متحدث، درس في دمشق ودرَّس في الجامع الأموي. الدكدكجي: مشيخته، ق 23 ب.
[2] الدكدكجي: مشيخته، ق 23 ب.
[3] متصوف أخذ علوم التصوف عن المتصوف الكبير أحمد العسالي، وتولى شيخة الطريقة الخلوتية في دمشق، ومن ومن بعده تولاها أولاده. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 99.
[4] متصوف، مفتي، مدرس، درس في دمشق والحجاز والروم، وبرع بالفقه والتصوف درَّس في دمشق، وتولى إفتاء المذهب الحنفي فيها. المرادي (محمد خليل بن علي بن محمد ت1206هـ/1792م) عرف البشام فيمن وُليَ فتوى دمشق الشام، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، ط 2، بيروت، 1988، ص 97-98.
[5] إحدى الطرق الصوفية، تنسب إلى محمد بن أحمد كريم الدين الخلوتي المتوفي في مصر 986هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري. القاسم (محمود عبد الرؤوف): الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، ط 1، بيروت، 1987، ص364.
[6] الدكدكجي: مشيخته، ق 29 ب.
[7] رياضي، فقيه، درس في مصر، ورحل إلى دمشق واستقر بالصالحية، ودرَّس فيها. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 4، ص 428-429.
[8] التغلبي: ثبته، ق 5 آ.

4–الإجازة بالاستدعاء:

هي إحدى أنواع الإجازات التي كانت رائجة في مرحلة البحث، وكان يتم الحصول عليها بعد أن يُرسل طالب الإجازة سواء كان طالباً أو عالماً مكتوباً إلى أحد العلماء المشهورين خارج مدينة دمشق يطلب منه الإجازة بأحد العلوم الشرعية، وإذا وافق العالم على طلب صاحب المكتوب يُرسل له إجازة علمية باسمه، وكانت أغلب الاستدعاءات ترسل إلى علماء مصر والحجاز. وحرص العلماء على طلب الإجازة لأولادهم الصغار بهذه الطريقة، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن طولون (880–953هـ/1475–1546م) في كتابه نوادر الإجازات والسماعات، حيث ذكر فيه أكثر من 16 إجازة بالاستدعاء أرسلها علماء وطلبة دمشق مع قافلة الحج للحصول على الإجازة من علماء الحجاز[1].

ومن الذين حصلوا على الإجازة بالاستدعاء السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة (1024–1085هـ/1615–1674م)، وعلاء الدين الحصكفي (ت1088هـ/1677م)[2]، والسيد محمد بن عجلان (1036–1096هـ/1627–1685م)[3]، فقد طلب هؤلاء العلماء العلماء الثلاثة الإجازة بالاستدعاء من أحد أهم علماء بلاد الشام بشكل عام ومدينة الرملة بشكل خاص وهو خير الدين الرملي (993–1081هـ/1585–1670م)[4] وكان خير الدين قد منح الكثير من الإجازات العلمية بطريقة الاستدعاء لعلماء بلاد الشام ومصر والحجاز[5]، بسبب مكانته العلمية العالية.

---

[1] ابن طولون (شمس الدين محمد): نوادر الإجازات والسماعات، تحقيق مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1998.
[2] محدث، فقيه، مدرس، مفتي ،درس في دمشق، ودرَّس في مدارس دمشق وتولى إفتاء المذهب الحنفي فيها. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 4، ص 63–65.
[3] قاضٍ، مدرس، درس في دمشق، ودرَّس فيها، وتولى نقابة الأشراف فيها، وكان يمتلك مكتبة ضخمة. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 3، ص 436–437.
[4] محدث، مفسر، فقيه، لغوي، نحوي، ولد بمدينة الرملة، ودرس بها وبمصر، واشتهر بعلمه وقصدته الطلبة من حدبٍ وصوبٍ، ومنح الإجازات، وترك مؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 2، ص 134–139.
[5] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 2، ص 138.

وحصل محمد أبي المواهب الحنبلي (1044-1126هـ/1634-1714م)[1] على إجازة بالاستدعاء من المدينة المنورة وكان المجيز هو أحمد بن محمد القشاش (991-1071هـ/1583-1661م)[2]، فقد ذكر أبو المواهب: "... أرسل إليَّ إجازةً مستقلةً إلى الشام بمكاتبةٍ منه إثر الطلب مني بشرح الحكم له وغير ذلك من مروياته..." [3].

وحصل محمد الكاملي (1044-1131هـ/1634-1719م)[4] على ثلاث إجازات بالمراسلة من علماء مصر الأولى من سلطان المزجي المصري (958-1075هـ/1551-1664م)[5] وكانت بالحديث والتفسير[6]، والثانية من محمد البابلي (1000-1077هـ/1592-1666م)[7] وكانت بالحديث[8]، والثالثة من عبد الباقي الزرقاني (1020-1099هـ/1611-1688م)[9] وكانت بالحديث[10] أيضاً كما ذكر الكاملي في ثبته.

وحصل محمد الغزي (1096-1167هـ/1685-1754م) على إجازتين بالمراسلة الأولى من مصر وكان المجيز محمد بن محمد البديري الدمياطي(1060-

---

[1] محدث، مفتي، مقرئ، مدرس، درس في دمشق والحجاز ومصر، درَّس في دمشق، وتولى إفتاء المذهب الحنبلي فيها. وترك مؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج1، ص67-69.

[2] محدث، فقيه، صوفي، مدرس، درس في المدينة ومكة واليمن، ودرَّس بالمدينة ترك الكثير من المؤلفات. المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 343-346.

[3] أبي المواهب، مشيخته، ص 95.

[4] فقيه، محدث، درس في دمشق ومصر، ودرّس في الجامع الأموي، ودار الحديث الأشرفية. المرادي: سلك الدرر، ج4، ص67.

[5] محدث، مفسر، مقرئ، مدرس، درس في مصر، ودرَّس فيها ، وكانت الطلبة تقصده في بلاد الشام، والحجاز ومصر، وترك مؤلفات. المحبي: خلاصة الأثر، ج 2، ص 210-211.

[6] الكاملي (محمد بن علي ت1131هـ/1719م): ثبت شمس الدين محمد بن نور الدين الكاملي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية،(12ق)، رقم 6001، ق 5 ب- 6 آ.

[7] محدث، فقيه، مدرس، درس في الحجاز و مصر ، ودرَّس فيها، وترك مؤلفات. المحبي: خلاصة الأثر، ج 4، ص ص 39-42.

[8] الكاملي: ثبته، ق 6 آ- 6 ب.

[9] محدث، فقيه، مدرس، درس في مصر، ودرّس فيها، وترك مؤلفات عديدة. المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 287.

[10] الكاملي: ثبته، ص 6 ب- 7-آ.

1131هـ/1650–1719م)[1] وحسب ماذكر الغزي: "... أرسلت له مكتوباً إلى دمياط يشتمل على نظم ونثر أستدعي منه الإجازة فأجازني..." [2]، وكان الغزي قد حضر دروسه في الجامع الأموي عندما زار الدمياطي دمشق سنة 1104هـ/1693م. والإجازة الثانية من مكة المكرمة وكان المجيز أحمد النخلي (1044–1130هـ/1634–1718م)[3] فقد ذكر الغزي: "... أرسلت مع الحجاج إليه مكتوباً أستدعي منه الإجازة فأجازني..." [4].

من الملاحظ أن هذا النوع من الإجازات ذو قيمة علمية أقل من الإجازات السابقة؛ لأن المُدرّس لم يمتحن الطالب بشكل مباشر، وهذا لا يعني أنها بلا قيمة علمية؛ لأن المجيز منح الإجازة بناءً على توصية من أحد العلماء الموثوقين بعلمه وترشيحه، ولم تكن تعطى الإجازة لأيٍّ كان، إنما كان المجيز على درايةٍ بالمستجيز من خلال ما سمع عنه، وإذا مُنحت هذه الإجازة لطلاب صغار في السن فهي دليلٌ على اهتمام الآباء بتعليم أبنائهم، وأيضاً تشجيعاً من العلماء للطلاب وتحفيزاً لهم لإكمال دراستهم عندما يكبروا.

لجأ العلماء والطلاب للحصول على هذا النوع من الإجازات، بسبب البعد الجغرافي، وصعوبات التنقل إلى جانب الظروف المادية الصعبة، بالإضافة إلى الرغبة العلمية بأن يستجيزوا من كبار العلماء في بلاد الشام ومصر والحجاز. ومن نافلة القول أن الإجازة بالاستدعاء في العصر العثماني كانت استمرار للمرحلة المملوكية فلم يحدث أي تغير على طريقتها ولا على أسلوبها، وصيغتها.

---

[1] فقيه، مدرس، متصوف، درس في دمياط والقاهرة، والحجاز، ودرَّس في دمياط وترك مؤلفات. الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن): عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 4 أجزاء، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ج 1، ص 193–194.

[2] أبو المعالي الغزي: ثبته، ق 36 ب.

[3] محدث، متصوف، درس في مكة، ودرَّس فيها، المرادي: سلك الدرر، ج 1، ص 171–172.

[4] أبو المعالي الغزي: ثبته، ق 45 ب.

5- الإجازة بالإفتاء والتدريس:

قال القلقشندي: "... الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس، أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرِّس ويكتب له بذلك..." [1]. وكان طالب العلم يرحل في سبيل الحصول على الإجازات بالتدريس للقاء أشهر العلماء والأخذ عنهم، بعد أن يتلقى العلم في مدينته، ثم يتوجه إلى مدن بلاد الشام، أو مصر، أو الحجاز، أو الروم لتلقي العلم، ويحصل على الإجازات التي تؤهله للتدرّيس والإفتاء.

وكان الحصول على إجازة بالتدريس والإفتاء يحتاج للقيام بجهد كبير، ويدلّ على ذلك ما ذكر في تراجم سير العلماء العلمية، وفي الحقيقة أن جميع المدرسين لم يدرِّسوا إلا بعد أن حصلوا على هذا النوع من الإجازات، ومن الذين حصلوا على مثل تلك الإجازات زكريا بن خضر البقاعي (ت1020هـ/1611م) الذي أُجيز بالإفتاء والتدريس، وكان زكريا قد قدم إلى دمشق من البقاع ودرس فيها، ثم أكمل دراسته في مصر و"...أجازه بالفتوى والتدريس..."[2] وعاد إلى دمشق، وشارك بالحياة العلمية من خلال توليه وظيفة مُعيد درّس الحسن البوريني[3] في المدرسة الناصرية[4]، ثم درّس بشكل مستقل في المدرسة النحاسية[5]، وانتفع به طلاب دمشق[6]. وباعتبار أن دمشق كانت مقصداً للطلبة فقد قصدها العديد من الطلاب والعلماء للحصول على إجازة بالإفتاء والتدريس من علمائها ومنهم محمود بن محمد البيلوني (ت1007هـ/1599م) الذي درس

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ج14، ص322.

[2] البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص227.

[3] هو الحسن بن محمد البوريني (ت1024هـ/1615م): فقيه، مدرّس، مؤرخ، وكان من أشهر علماء دمشق، ترك مؤلفات. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): لطف السمر وقطف الثمر، جزءان، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ت)، ج1، ص355-390.

[4] إحدى مدراس المذهب الشافعي، تقع داخل باب الفراديس، أنشأها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد الأيوبي (653هـ/1255م). النعيمي (عبد القادر بن محمد): الدراس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1990، ج1، 351.

[5] تقع في حي العقيبة في العمارة الجوانية، وتعرف بالخانقاه النحاسية، أنشأها الخواجا شمس الدين النحاسي (ت862هـ/1458م). العلموي (عبد الباسط): تنبيه الطالب و إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، 1947، ص153.

[6] البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص227.

في حلب، والحجاز، وحصل على العديد من الإجازات، وفي أثناء رحلته إلى الحج دخل دمشق وأقام بالمدرسة العادلية[1]، وحصل على إجازة بالإفتاء والتدريس وكان المجيز نجم الدين الغزي(977–1061هـ/1570–1651م) في 1007هـ/1599م[2].

كما أن الشيخ اسماعيل النابلسي(1017–1062هـ/1608–1652م) حصل على إجازات بالإفتاء والتدريس، وكان النابلسي قد درس في دمشق واستانبول، ودرَّس في مدارس دمشق، وعند عودته من الحج عن طريق مصر أقام بالقاهرة مدة "...وداوم على الاشتغال والقراءة على الشيخ أحمد الشوبري[3] وعلى الشيخ حسن الشرنبلاني[4]؛ حتى كتبا له الإجازة بالإفتاء والتدريس..."[5] وحصل على هذه الإجازة سنة 1048هـ/1637م، 1048هـ/1637م، وعاد إلى دمشق وباشر التدرّيس في مدارسها مثل المدرسة القيميرية[6]، والسيلمية[7]، والجامع الأموي، وترك مؤلفات في الفقه، والفرائض[8].

أيضاً فقد درس تقي الدين عبد الباقي الحنبلي (1005–1071هـ/1597–1661م) الحديث الشريف والفقه والفرائض والتصوف وغيرها في بعلبك، ودمشق، والقدس، ورحل

---

(1) إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في حي الكلاسة، أنشأها الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي (ت616هـ/1219م). بدران (عبد القادر): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، (د.ت).ص 123

(2) نجم الدين الغزي، لطف السمر، ج2، ص628–629.

(3) هو أحمد بن أحمد الخطيب الشوبري المصري الحنفي: فقيه، محدث، متصوف، نحوي، مدرس، درس في القاهرة، وحصل على الإجازات من أشهر علماء مصر، وبدأ التدريس في الأزهر ودرَّس معظم طلاب بلاد الشام ومصر لديه، ولقب "...بأبي حنيفة الصغير..." محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر،ج1،ص174–175.

(4) هو حسن بن عماد بن علي الشرنبلاني المصري الحنفي (أبو إخلاص) (994–1069هـ/1585–1659م) فقيه، درس الفقه في القاهرة وبرع فيه، ودرَّس في الجامع الأزهر، وأخذ عنه الكثير من طلاب بلاد الشام ومصر وترك العديد من المؤلفات الفقهية منها: نور الإيضاح، وحاشية على كتاب الدرر والفرز لمنلا خسرو وكلاهما في فروع الفقه الحنفي السعادات في علمي التوحيد والعبادات، فتح الألطاف بجدول مستحقي الأوقاف، إتحاف ذوي الإتقان، العقد الفريد لبيان الراجح من الخلاف في جواز التقليد. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر،ج2، ص38.

(5) فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 76.

(6) تقع في سوق القيمرية، أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس الكردي القيمري (ت665هـ/1267م). العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص69.

(7) تقع في الصالحية في جادة المدارس، وهي أول منشأة دينية واجتماعية علمية أنشئت في العهد العثماني في مدينة دمشق بناها السلطان سليم الأول (885 – 926 هـ/ 1480–1520 م) على ضريح الشيخ محي الدين بن العربي. ابن طولون (شمس الدين محمد): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، جزءان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980م، ج1، ص116، 123.

(8) أبي المواهب: مشيخته، ص62.

إلى مصر سنة 1029هـ/1620م، وحصل على إجازة بالإفتاء والتدريس وعاد إلى دمشق وباشر التدريس في الجامع الأموي، وتولى إفتاء المذهب الحنبلي[1].

ومن الذين حصلوا على إجازة بالإفتاء والتدريس زين العابدين بن زكريا الغزي (1012-1062هـ/1603-1652م) ، وكان العابدين قد درس الفقه والحديث والنحو والفرائض والحساب على أشهر مدرسي دمشق و "... أجازه شيوخه بالإفتاء والتدريس فأفتى ودرس بمحراب الصحابة في الجامع الأموي..." وبرع بالرياضيات وترك مؤلفات بهذا العلم[2]، وحصل ابنه أيضاً عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي (1048-1115هـ/1638-1703م) على إجازة بالإفتاء والتدريس فدرَس مثل والده الفقه والحديث والفرائض ومنحه محمد بن يحيى البطيني (ت1075هـ/1665م)[3] إجازة بالإفتاء والتدريس[4]، وبرع بالفقه والرياضيات.

لاشك أن الإجازة بالإفتاء والتدرّيس كانت من أهم أنواع الإجازات الممنوحة في العصر العثماني؛ لأنها أتاحت لحاملها بشكل صريح البدء بالتدرّيس أو بالإفتاء، ويُستدّل على أهميتها من خلال الأمثلة التي سبق ذكرها، فجميع العلماء الذين حصلوا عليها قد بذلوا جهداً مضاعفاً بالدراسة والبحث، ولم يكتفوا بما حصلوا عليه من علوم في مدينة دمشق، بل رحلوا إلى بقاع أخرى دمشق لإكمال دراستهم، وبعد مرحلة طويلة من الجد والتعب في التحصيل العلمي حصلوا على هذا النوع من الإجازات، ودرّسوا في مدارس دمشق، ومنحوا الإجازات لطلبة العلم، وآلفوا المؤلفات، فكانت مساهمتهم فعالة في العملية التعليمية. ومن خلال ما ذكره القلقشندي عن هذا النوع من الإجازات نلاحظ أنه لم يطرأ أي تغير يذكر على هذا النوع من الإجازات بل حافظت على نفس الطريقة والأسلوب المتبع في العهد المملوكي.

---

[1] أبي المواهب: مشيخته ، ص 34.
[2] أبو المعالي الغزي: ثبته، ق33ب.
[3] محدث، فقيه، درس في مصر ودمشق ودرّس في دمشق ، واضحى مقصداً للطلبة العلم وترك مؤلفات. أبي المواهب: مشيخته، ص 39-40
[4] أبو المعالي الغزي: ثبته، ق 34-آ.

6- الإجازة العامة:

من أنواع الإجازات التي كانت شائعة في مرحلة البحث، وتشمل إجازة المُدرّس للطالب بكل ما يجوز له روايته، وقد تشمل إجازة بالحديث، والفقه، والتفسير، واللغة العربية، وغيرها في آن واحد، ومن الملاحظ أن هذا النوع من الإجازات يحمل شيئاً من المجاملات العلمية، فكيف يستوي المُدرّس مع طالب الإجازة، ففي بعض الحالات كان المُدرّس المجيز في العقد السادس من عمره، وقد قضى عمره في الدراسة والبحث والتأليف، وكان الطالب المستجيز في العقد الثاني من عمره، وهو حديث العهد بالبحث والدراسة، وعندما يمنحه مُدرّسه الإجازة العامة يصبح مكافئ له علمياً من الناحية النظرية.

ومن الذين حصلوا على إجازة عامة في دمشق أحمد الصفدي (1100هـ/1689م)، فبعد قدومه من فلسطين إلى دمشق "... قرأ على جماعة من العلماء منهم منصور السطوحي[1] والشيخ عبد القادر الصفوري[2] واستجازهما فأجازاه بما لهما..."[3] كما ذكر المحبي. ودرَّس الصفدي في المدرسة العمرية[4] والدرويشية[5]، وترك مؤلفات. كما حصل فضل الله المحبي(1031–1082هـ/1622–1671م) على إجازة عامة عندما "... أخذ الحديث عن النجم الغزي وأجازه إجازة عامة في سنة ثمانٍ وأربعين وألف..."[6] وكان فضل الله قد درس في دمشق، واستانبول، ومصر، ودرَّس في المدرسة الأمينية[7]،

[1] هو منصور بن علي السطوحي المحلي الشافعي(ت1066هـ/1656م): مدرس، فقيه، نحوي، صوفي، تنقل بين القاهرة، والقدس، ودمشق، كانت له مكانة عالية بدمشق. أبي المواهب: مشيخته، 40–42.

[2] هو عبد القادر بن مصطفى الصفوري الأصل الدمشقي الشافعي(1010 – 1081 هـ /1601–1670 م): فقيه، محدث، مفسر، نحوي، درس في دمشق ومصر، ودرّس في عدة مدارس في دمشق وترك عدد من المؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص467–469.

[3] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر،ج1، ص 357.

[4] تقع في الصالحية، أنشأها الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة(ت607 هـ/ 1210م)، وذلك في سنة 555 هـ/ 1160م، . وكان في البداية يقتصر التعليم فيها على فقه المذهب الحنبلي، لكن فيما بعد فتحت دروساً للمذاهب الأخرى. العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص128

[5] هو جامع الدرويشية، بناه والي دمشق درويش باشا سنة 980هـ/1572م. بدران: منادمة الأطلال، ص376.

[6] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص278.

الأمينية[1]، والدرويشية، وترك العديد من المؤلفات، ومنح محمد المحاسني(1012-1072هـ/1603-1662م)[2] إجازة عامة لمعيد درسه علاء الدين الحصكفي(ت1088هـ/1677م) كما ذكر المحبي: "... أجازه إجازة عامة في شوال سنة اثنين وستين وألف..."[3]، وكان الحصكفي قد درس في القدس، والرملة، والمدينة المنورة، بالإضافة إلى دمشق، ودرّس في العديد من مدارسها مثل التقوية[4]، والسليمية، والجامع الأموي، وترك مؤلفات عديدة[5].

وذكر أبي المواهب الحنبلي (1044-1126هـ/1634-1714م) في مشيخته أنه حصل على الإجازة العامة من علماء بلاد الشام، ومصر، والحجاز ومنهم محمد الأسطواني (1024-1077هـ/1615-1666م)[6]، واسماعيل النابلسي (1017-1062هـ/1608-1652م)[7]، ونجم الدين الغزي (977-1061هـ/1570-1651م)[8] وهؤلاء علماء دمشقيون، أما من علماء مصر فحصل على إجازة عامة من محمد بن علاء الدين البابلي (1000-1070هـ/1592-1660م)[9] وسلطان بن أحمد المصري المزاحي (985-1075هـ/1577-1665م)[10]. كما حصل أبي المواهب على إجازة

---

(1) تقع مقابل باب الزيادة، وقد أنشأها أمين الدولة كمشتكين (ت541هـ/ 1146م) وذلك في سنة 514هـ/ 1120م، ومن المعتقد أنها أول مدرسة للشافعية في دمشق. النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس، ج1، ص132.

(2) هو محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي: خطيب، مدرّس، شاعر، درس في دمشق واستانبول، ودرّس في العديد من مدارس دمشق وتلك مؤلفات عدة. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص408-411.

(3) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر،ج 4، ص 63.

(4) إحدى مدراس المذهب الشافعي، تقع في زقاق السبع طوالع الآخذ إلى حي العمارة الجوانية، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب الذي قد أنشأها للعلامة محمد بن محمد الطوسي سنة 575هـ/ 1178م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص162.

(5) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج4، ص63-65.

(6) هو محمد بن أبي الصفا بن محمود بن أبي الصفا الأسطواني الدمشقي الحنفي: مدرس، أديب، كاتب، خطاط، درس في دمشق وتولى الوظائف القضائية والعلمية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص339.أبي المواهب: مشيخته، ص 57.

(7) أبي المواهب: مشيخته، ص 62.

(8)أبي المواهب: مشيخته ، ص 71.

(9)محدث، فقيه، مدرس، درس في مصر، ودرس فيها، وترك مؤلفات عديدة. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 287. أبي المواهب: مشيخته، ص 61.

(10) فقيه، محدث، مقرئ، مدرّس.ترك مؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص210-211.أبي المواهب: مشيخته، ص 77.

عامة من محمد بن علان المكي الصديقي (996–1057هـ/1588–1647م)[1]، وحصول أبي المواهب الحنبلي على هذا العدد الكبير من الإجازات العامة ليس من باب المصادفة، أو المُجاملة، فمعظم مُدرّسيه كانوا يدركون مكانته العلمية. ومما يؤكد ذلك سيرته العلمية المشرفة، ومشاركته في الحياة العلمية بشكل فاعل. وكثرة طلبته الذين قصدوه من كل حدب وصوب. إضافة إلى توليه تدرّيس الحديث في الجامع الأموي، وإفتاء المذهب الحنبلي في دمشق، ومشيخة القراء، وتركه العديد من المؤلفات في الفقه والقراءات[2].

كما حصل محمد الدكدكجي (1080–1131هـ/1669–1719م) على إجازة عامة من أبو السعود بن تاج الدين بن محمد الخزرجي الدمشقي (ت1094هـ/1683م)[3] ومن ومن المعروف عن علماء وطلاب دمشق، قد قصدوا العلماء الذين يزرون دمشق للحصول على الإجازات منهم، فقد حصل إبراهيم الدكدكجي على إجازة عامة من يحيى بن الفقيه الجزائري (ت1096هـ/1685م)[4] عندما زار دمشق وذكر الدكدكجي أنه اجتمع[5]: "... بالشيخ الجزائري بدمشق مراراً عديدة وحضرت دروسه الخاصة والعامة...، وأجازني إجازة عامة بجميع تأليفه ومروياته وما يجوز له وعنه روايته..."وكان الدكدكجي قد درس في دمشق، ومصر، والحجاز، ودرّس في السليمية، وترك العديد من المؤلفات[6]. وحضر عبد القادر التغلبي (1052–1135هـ/1642–

[1] هو محمد بن علي بن محمد بن علان بن إبراهيم بن محمد بن علان بن عبد الملك بن علي البكري الصديقي، محدث، مفسر، مقرئ، مدرِّس، درس في مكة، وبدأ التدريس وعمره 18 عام، والإفتاء وعمره 24 عام، ترك العديد من المؤلفات منها: الابتهاج في ختام المنهاج، المواهب الفتحية في شرح الطرقة المحمدية للبركوي وغيرها. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج4، ص 184–189. أبي المواهب: مشيخته، ص 85.

[2] المرادي: سلك الدرر، ج 1، ص 67–69. أبو المعالي الغزي: ثبته، ق 55 ب، 57 آ.

[3] فقيه، مدرّس، درس في دمشق ومصر، ودرّس في الجامع الأموي. الدكدكجي: شيخته، ق22–آ.

[4] هو يحيى بن الفقيه الصالح محمد محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الجزائري المالكي، محدث، فقيه، مفسر، مدرس، درس في الجزائر ومصر واستانبول ودرَّس في مصر. الدكدكجي: مشيخته، ق 24–ب، 25–آ.

[5] الدكدكجي: مشيخته، ق 25–آ.

[6] المرادي: سلك الدرر، ج4، ص 25–27.

1723م) دروس محمد بن يحيى البطيني (ت1075هـ/1665م)[1] في الجامع الأموي و"... دخل في إجازته العامة..."[2]، ودرّس التغلبي في الجامع الأموي، وترك بعض المؤلفات[3]، وحصل محمد الكاملي (1044-1131هـ/1634-1719م) على عدة إجازات عامة واحدة من عبد القادر الصفوري (1010-1081هـ/1601-1670م) في دمشق[4]، وأخرى من مصر، فقد ذكر الكاملي أن الشيخ علي الشبراملسي المصري (997-1084هـ/1589-1676م)[5] أجازه بـ:"... أن يروي عنه جميع ما تحل له روايته روايته إجازة عامة من فقه وحديث وغيرهما وأن يفيد ذلك من شاء وفي أي وقت شاء..."[6]. ودرّس الكاملي في الجامع الأموي وغيره.

صحيح أن هذا النوع من الإجازات يحمل نوعاً من المجاملات العلمية، إلا أن هذه الإجازات كما يظهر من الأمثلة التي سبق ذكرها لطلاب كانوا محط ثقة مُدرّسيهم فبرعوا وتفوقوا، حتى أن بعضهم فاق من أجازه علماً وبحثاً وتأليفاً ودرّسوا في مدارس دمشق، وآلفوا، وساهموا بالحياة العلمية الدمشقية.

7- إجازة حافظ للقرآن الكريم:

إجازة حافظ القرآن الكريم: هي الإجازة من الشيخ المُجيز للطالب المُستجيز بأنه قد قرأ عليه القرآن الكريم كاملاً غيباً مع التجويد والإتقان، والتفريق بين المتشابهات، وأصبح مؤهلاً للإقراء. وممن حصل على إجازة بقراءة القرآن وحفظه، عمر بن ابراهيم بن علي الدمشقي (974-1017هـ/1567-1608م) الذي درس القرآن الكريم على المقرئ ابراهيم

---

(1) فيقه، محدث، درس في دمشق، ومصر، ودرّس تحت قبة النسر في الجامع الأموي، وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي في دمشق، وترك العديد من المؤلفات. أبي المواهب: مشيخته، ص39.

(2) التغلبي: ثبته، ق 3 ب.

(3) المرادي: سلك الدرر، ج3، ص59.

(4) الكاملي: ثبته، ق 3 ب.

(5) هو علي بن علي الشبراملسي الشافعي القاهري (أبو الضياء- نور الدين): فقيه، مؤرخ، درس في القاهرة، ودرَّس في الجامع الأزهر ترك الكثير من المؤلفات منها: حاشية على نهاية المحتاج في فروع الفقه الشافعي، حاشية على شرح الشمائل لابن حجر الهيتيمي، حاشية على شرح المقدمة الجزرية في التجويد. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص173-176.

(6) الكاملي: ثبته، ق 1آ.

بن محمد العمادي المُلقب برهان الدين كسبائي (945–1008هـ/1547–1600م)[1] ،ومنحه إجازة بذلك[2]. ودرس أبو بكر الطرابلسي (ت 1026هـ/1617م) القرآن الكريم وسمعه علي برهان الدين كسبائي أيضاً، وبرع أبو بكر بالقراءات[3]. ومن الذين حصلوا على إجازة حافظ للقرآن الكريم علي بن محمد المُلقب بعلاء الدين الطرابلسي (950–1032هـ/1543–1623م) حيث نال هذه الإجازة من أشهر المقرئين في دمشق، وتولى التدرّيس بالعديد من مدارس دمشق[4]. وحصل محمد بن كمال الدين بن حمزة (1024–1085هـ/1615–1674م) على إجازة حافظ للقرآن الكريم من مُدرّسه عبد الباقي تقي الدين الحنبلي(1005–1071هـ/1597–1661م)[5]. كما حصل محمد أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي(1044–1126هـ/1634–1714م) على هذه الإجازة من والده، وبرع محمد بالقراءات، ودرّسها في الجامع الأموي. هذه بعض الأمثلة عن من حصل على هذا النوع من الإجازات.

رابعاً: أسلوب الإجازة:

كُتبت الإجازات بأسلوب بسيط وموجز، ولكن أسلوبها تطور فيما بعد، وظهر ذلك جلياً في نصوص عدد من الإجازات، فقد كانت الإجازات تُستهل بالبسملة، فالتحميد، وهي ذات مقدمة وموضوع وخاتمة، ويفصلون فيها ويطنبون، فيتحدثون عن مكانة العلم والعلماء، ويحثون على الاشتغال بالعلم، ويشيدون فيها بالمجيز والمجاز علماً وخلقاً، وقد يبالغون في الإشادة، وقد لا يبالغون، ويحدد موضوع الإجازة، والكتب التي أجيز بها المجاز، ويذكرون مصنفات وشيوخ وأسانيد المجيز، ثم يحددون تاريخ الإجازة.

---

(1) برهان الدين كسبائي: مقرئ، مُدرّس، درس علم القراءات في دمشق، ومصر وبرع بهذا العلم وأصبح شيخ القراء بدمشق، درس في المدرسة الأتابكية، والعادلية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص35.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص208.

(3) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر ، ج1، ص112.

(4) البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص334–335.

(5) الدكدكجي: مشيخته، ق72آ.

ومن الأمثلة على ذلك الإجازة التي منحها أحد أهم علماء ومتصوفة العصر العثماني الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (1050-1143هـ/1641-1731م) لكل من عبد الرحمن بن إبراهيم وأحمد بن عثمان البعليين[1] ، التي استهل كاتب الإجازة بالبسملة، ثم مقدمة ابتدأها كاتبها بالحمدلة "... بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وصل من انقطع إليه بجنابه المتين والصلاة والسلام على سيدنا محمد...وأصحابه أهل الكمال واليقين صلاة وسلام دايمين بدوام الله رب العالمين..."[2]. ثم ينتقل الكاتب إلى موضوع الإجازة بعد ذكره عبارة "...وبعد..."[3] ويعود للحديث عن منزلة علم الحديث والفقه فيقول "...فإن العلوم من أشرف المطالب وأعز الرغايب لاسيما علم الحديث الشريف والفقه المعظم..."[4]. ويذكر كاتب الإجازة اسم المستجيز فيقول: "... وقد طلب منا الإجازة ليحوز الشرف أكمل حيازة الفاضل الكامل عبد الرحمن بن إبراهيم وأحمد بن عثمان البعليين في هذين العلمين وغيرها..."[5].

ويحدد الكاتب أن المجيز قد أجازهما فيقول: "...اجزتهما بأن يرويا عني ما يجوز لي وعني روايته في جميع العلوم بشرط المعتبر عن أهل الحديث والأثر..."[6] ثم يذكر المجيز شيوخه، ومؤلفاته وأسانيده فيقول: "... وإنني أروي الحديث عن مشايخنا الأئمة الكاملين من أجلهم شيخنا المرحوم نجم الدين محمد الغزي العامري الشافعي عن والده البدر بأسانيده المعلومة، ومنهم شيخنا عبد الباقي الحنبلي البعلي الأثري بأسانيده المعروفة، ومنهم شيخنا عبد القادر الصفوري بأسانيده..."[7] ويذكر أغلب شيوخه ومؤلفاته.

---

[1] النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل ت1143هـ/1731م): إجازة عبد الغني النابلسي سنة 1120هـ/1708م، وهذه الإجازة تقع ضمن مخطوط (مجموعة رسائل) لمجموعة مؤلفين منهم النابلسي وابن عربي، يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، رقم 4011، ق68آ-ب .

[2] المصدر نفسه، ق68أ.

[3] المصدر نفسه، ق68أ.

[4] المصدر نفسه، ق68أ.

[5] المصدر نفسه، ق68أ.

[6] المصدر نفسه، ق68أ.

[7] المصدر نفسه، ق68أ.

ثم ينتقل الكاتب إلى ذكر الكتب المجازة فيقول: "... وأجزناهما بكتب العارف بالله تعالى أمام التحقيق الشيخ محي الدين بن العربي قدس سره وكتب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره بحسب اتصال أسانيدنا وروايتنا إليهما. وأجزناهما بجميع ما ألفناه وصنفناه من منظوم ومنثور وفنون وشروح في جميع أنواع العلوم بأن يروياه عنا بشرط الضبط والتصحيح والفهم الموافق للكتاب والسنة. وقد بلغت مصنفاتنا الآن ولله الحمد نحو مائتي مصنف نسأل الله النفع بها لنا وللمسلمين..."[1].

ويوصي المجيز المجاز بالمثابرة والتحصيل فيقول: "... نوصيهما بتقوى الله تعالى في السر والإعلان والمثابرة والمطالعة وإحياء العلوم ونشر ذلك طلباً لمرضات الله والمواظبة على سيد الاستغفار والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتقاد على العلماء والصالحين ومساعدة الفقراء..."[2]. في نهاية الإجازة يحدد كاتب الإجازة تاريخها ومحررها فيقول: "... حررت يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الثاني سنة عشرين ومائة وألف حرر هذا بمعرفتي وحرر بإذني العبد الفقير عبد الغني الشهير بابن النابلسي الحنفي الدمشقي المدرس في المدرسة السليمية في صالحية دمشق المحمية..."[3].

تقدم هذه الإجازة مثال عن أسلوب وطريقة كتابة الإجازات في فترة البحث ومن الملاحظ أن هذه الإجازة من نوع الإجازات العامة. وقد ورد فيها بعض الأخطاء الإملائية، وبالمقارنة بينها وبين الإجازات في العهد المملوكي التي ذكر بعضها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى لا يُلاحظ أي تغير يذكر على أسلوب الإجازة، إنما بقي أسلوبها وطريقة كتابتها كما هو. مما يدل على أن الدولة العثمانية حافظت على النظام التعليمي الذي كان سائداً في العهد المملوكي. ومن الجدير بالذكر إن الدولة العثمانية لم تسعَ إلى تطوير الحركة العلمية التي كانت تعاني بالأساس من تراجع كبير منذ أواخر العهد المملوكي، فأهملت المؤسسات التعليمية، ولم تخضع المُدرّسين للمراقبة

[1] النابلسي: إجازة عبد الغني ، ق68ب.
[2] المصدر نفسه ، ق68ب.
[3] المصدر نفسه، ق68ب.

العلمية، وعملت على استقطاب كبار العلماء من الولايات العربية إلى العاصمة، مما ترك أثراً سلبياً على هذه الولايات، فتراجعت العلوم الدينية، كما تراجعت اللغة العربية، أما العقلية كالفلك، والهندسة، والرياضيات، والفيزياء قد غابت تماماً. وفي هذا الوقت كانت أوروبا الغربية تمضي قدماً في نهضتها العلمية على كافة الأصعدة.

الخاتمة:

تعددت أنواع الإجازات العلمية في دمشق في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس والسابع عشر الميلاديين ما بين إجازة بكتاب، وإجازة بأكثر من كتاب، وإجازة بموضوع، وإجازة بالإفتاء والتدريس، وإجازة بالاستدعاء، وإجازة العامة، وهي استمرار لنظام الإجازات العلمية الذي كان سائد في العهد المملوكي، فلم يطرأ أي تغيير على أنواع، وأسلوب الإجازات العلمية في فترة البحث عما كانت عليه في الفترة المملوكية. وتعكس هذه الإجازات أن العلوم العقلية كانت غائبة تماماً ولم تُدرّس في فترة البحث، وسادة العلوم الشرعية التي تراجعت بدورها أيضاً، فالدولة العثمانية لم تسعَ إلى تطوير الحياة العلمية، بل أسهمت بسياستها في تراجع الحركة العلمية بشكل كبير. وتعرفنا الإجازات العلمية بكتب والموضوعات التي كانت مجالاً للدراسة. وساهم حاملي الإجازات العلمية في الحياة العلمية في دمشق من خلال تصدرهم للتدريس العلوم الشرعية في المدارس والمساجد، وتأليفهم المؤلفات بهذه العلوم، ومنحهم الإجازات العلمية لطلبة العلم في دمشق، والأهم من ذلك أن الإجازات العلمية هذه قادرة أن ترسم لنا صورة واضحة المعالم عن علماء تلك المرحلة، وأسلوب تَعلمُهِم، ومكانتهم العلمية، إضافة إلى أهم الكتب التي كان يتم تداولها. وبالمجمل فإن من أهم نتائج هذه الإجازات التي اختصت بالعلوم الدينية، أنها رسخت هذه العلوم في المجتمع، بل وأصبحت ركيزته الأساسية حتى على مستوى الثقافة الشعبية، لما لحاملي هذه الإجازات من تأثير على المستوى الشعبي على حساب العلوم العقلية.

ملحق البحث:

(إجازة عبد الغني النابلسي سنة 1120هـ/1708م، وهذه الإجازة تقع ضمن مخطوط (مجموعة رسائل) لمجموعة مؤلفين منهم النابلسي وابن عربي، يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، رقم 4011، ق68آ– ب).

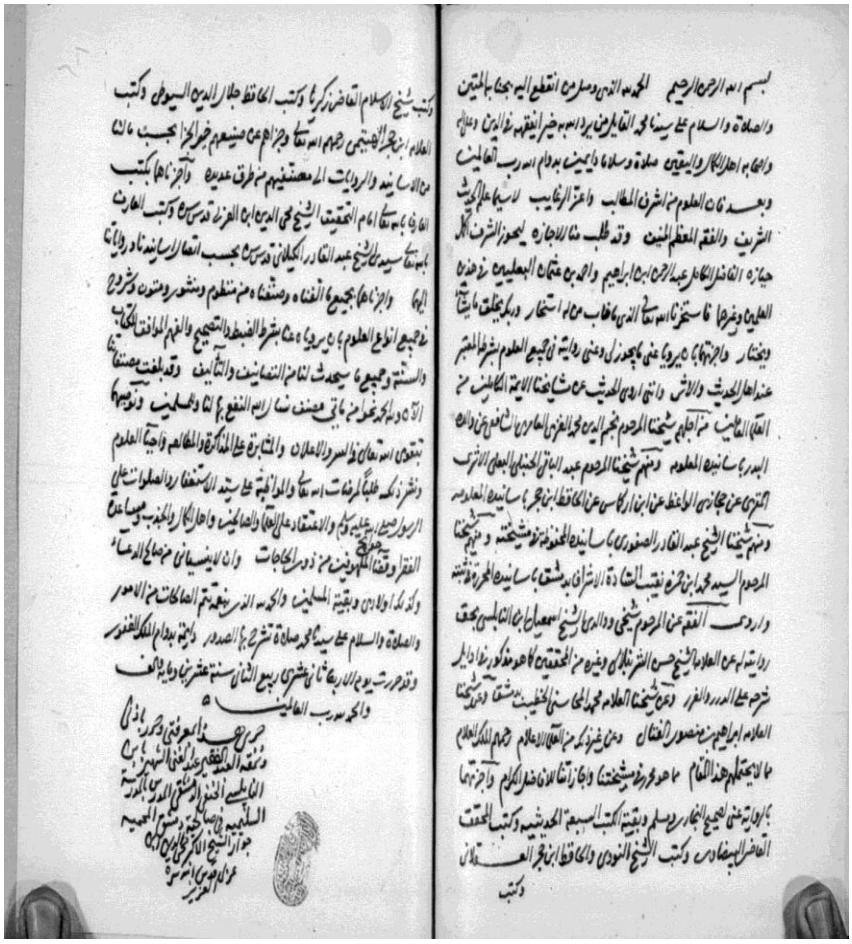

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

1. التدمري: (محمد بن إبراهيم): ثبت الشيخ محمد التدمري، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، [12 ق]، رقم 1876.
2. التغلبي (عبد القادر بن عمر ت1135هـ/1723م): ثبت عبد القادر التغلبي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، [22 ق]، رقم 4415.
3. الدكدكجي (محمد بن إبراهيم بن محمد ت1131هـ/1719م): مشيخة الدكدكجي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد [160 ق] رقم 9273.
4. الغزي (أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن ت1167هـ/1754م): ثبت الغزي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، 54 ق [23–76]، رقم 3876.
5. الكاملي (محمد بن علي ت1131هـ/1719م): ثبت شمس الدين محمد بن نور الدين الكاملي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية،(12ق)، رقم 6001.
6. المحبي (فضل الله بن محب الدين المحبي ت1082هـ/1671م): فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، مخطوط يوجد صورة منه في مكتبة الأسد، 250 ق، رقم 16850.
7. النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل ت1143هـ/1731م): إجازة عبد الغني النابلسي سنة 1120هـ/1708م، وهذه الإجازة تقع ضمن مخطوط (مجموعة رسائل) لمجموعة مؤلفين منهم النابلسي وابن عربي، يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، رقم 4011، ق68آ–ب .

ثانياً: المصادر المطبوعة:

1. البوريني (الحسن بن محمد): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، جزءان، تحقيق صلاح المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1959،1966.
2. الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن): عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 4 أجزاء، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997.
3. ابن الحنبلي (رضي الدين): در الحبب في تاريخ أعيان حلب، جزءان، تحقيق محمود حمد الفاخوري ويحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972.
4. خليفة (حاجي): كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
5. الزبيدي (مرتضى): شرح القاموس تاج العروس من جوهر القاموس، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ط 1، 1306هـ/1889م.
6. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن): فتح المغيث (شرح ألفية الحديث)، 3 أجزاء، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
7. السيوطي (جلال الدين): تدريب الراوي في شرح تقريب النوادي، جزءان تحقيق أبو قتيبة نصر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر، بيروت، 1415هـ/1994م.
8. ابن طولون (شمس الدين محمد) :الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 1996.

9. ابن طولون (شمس الدين محمد): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، جزءان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980.
10. ابن طولون (شمس الدين محمد): نوادر الإجازات والسماعات، تحقيق مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1998.
11. العلموي (عبد الباسط): تنبيه الطالب و إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، 1947.
12. ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 أجزاء، دار المسيرة، ط 2، بيروت، 1979.
13. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 أجزاء، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997.
14. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): لطف السمر وقطف الثمر، جزءان، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ت).
15. فارس (أحمد بن): معجم مقاييس اللغة العربية، 6 أجزاء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، ط 1، بيروت، 1991.
16. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبوعة الأميرية، مصر، 1963.

17. المحبي (محمد أمين بن فضل الله): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ،4 أجزاء، (د.ت)، القاهرة، 1865.
18. المرادي (محمد خليل بن علي): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، 4 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
19. المرادي (محمد خليل بن علي) عرف البشام فيمن وُليَّ فتوى دمشق الشام، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، ط 2، بيروت، 1988.
20. ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم): لسان العرب، 15 جزء، دار صادر، بيروت، (د.ت).
21. أبي المواهب (محمد بن عبد الباقي الحنبلي): مشيخته تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1990.
22. النعيمي (عبد القادر بن محمد): الدراس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1990.

ثالثاً: المراجع:

1. بدران (عبد القادر): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، (د.ت).
2. التهانوني (محمد علي): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جزءان، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، بيروت، 1996.
3. شبلي (أحمد): تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 2، القاهرة، 1996.
4. غنيمة (محمد عبد الرحيم): مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953.
5. القاسم (محمود عبد الرؤوف): الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، ط 1، بيروت، 1987.
6. منصور (نصار محمد): الإجازة في فن الخط العربي، مجدلاوي للطباعة، ط 1، عمان، 2002.